الفصل الرابع عشر

(لمّ الشمل)

"أثنـاء إجـراء العمليـة الجراحيـة، ورغـم أن "ماضـي" تحـت تـأثير التخـدير، إلا أنـه يحـس بوجـود ابنتـه "حنـين" معـه، ويشعر بتفانيها في إنقاذه، كيف لا وهي ابنته الحبيبة وابنة حبيبته "شكرات"، حنين الماضي، وحب العمر، وهي حلقة الوصل في لمّ شمل الأحبة جميعًا".

(وقد يجمع الله الشتيتين بعدما

يظنان كل الظن أن لا تلاقيا)

"محمد" -شقيق الدكتورة "حنين"- يجلس مع "فؤاد" -والد الدكتور "عمر"- في الأنتريه، يتحدثان عن أعمالهما، وطبيعة الشركة التي يملكها "محمد"، والتي يديرها حاليًا صديق والده -المهندس "ثروت"-، ليبدأ "فؤاد" الحوار:

_ أنا نسمع عن جدك، كان اسم كبير في مجال المقاولات يا أستاذ محمد، وكان بالنسبة ليا علم، رغم إنه كان المنافس لوالدي -الله يرحمه-، لكن كانت منافسة شريفة؛ علشان كانوا ناس عندهم مباديء وأصول حتى في االتجارة، الحمد لله أنا برضه عملت اسم فى نفس المجال.

* أنا كمان سمعت من مدير الشركة بتاعتنا عن حضرتك، وقد ايه في مدة بسيطة كوّنت شركة كبيرة في القاهرة غير الشركة اللي عندنا هنا في اسكندرية، ما شاء الله.

_ أنا كمان حاسس بالحماس اللي جوّاك والطاقة الشبابية الكبيرة اللي كلها عزيمة وإصرار، لكن إن شاء الله لما نتعاونوا مع بعض هاتكتسب كمان خبرة، احنا مش هانكونوا غُرب عن بعض.

وهنا تدخل "لبنى"، قائلة لأبيها:

~ إيه يا سي بابا؟ حضرتك ما بتضيّعش وقت! حتى في الزيارات برضه لازم تتكلم فيها عن الشغل؟

_ الأستاذ محمد مابقاش غريب يا لبنى، ولازم نطمّن عليه وعن أعمال شركته، لو نقدر نقدم له أي خدمة.

في هذه اللحظة كان "محمد" ينظر تجاه "لبنى"، وهي أيضًا كانت تنظر له، فيقول "فؤاد"، وقد انتبه إلى النظرات المتبادلة:

_ شوفي ماما يا حبيبتي علشان هانمشوا.

* إيه ياعمو؟ احنا لازم نتغدوا مع بعض.

_ إن شاء الله يا حبيبي، نخلوا الغدا وقت تاني، لإني عندي مشوار ولازم نروحه دلوقتي.

أخوات المرحوم "حاتم" ذهبن إلى بيت "منى"، القريب من العمارة التي تقيم فيها "شكرات"؛ ليتحدثن عن الأمور الخاصة بـ "شكرات"، وكان متواجدًا معهم زوج "منى"، - "الدكتور فخري المستشار االقانوني"، ويشرح لهن بعضًا من مواد القانون الخاصة بالنسب، ويخبرهن أنه لا يوجد أي

دليـل علـى ادعـاءاتهم، وأن الأولاد للفـراش وأن الـزوج قـد تـوفي، ولـم ينـفِ أي شـيء، والأولاد جميعًـا مقيّـدون فـي شهادات ميلادهم باسم المرحوم، لتبدأ "مديحة" القول:

_ أنـا نفسـي من مـدة بسيطة شُفت راجل غريـب عنـدها فـي البيت، وحنين قالت لي دا خالي اللي كان مسافر في الخارج، كان عايش في فرنسا، مع العلم يا دكتور فخري إن أنا وعماد جوزي شُفناه من كام شهر في القاهرة، وكمان عماد جوزي جمـع المعلومـات اللـي تؤكـد إن كـان فيـه علاقـة بينـه وبـين شكرات زمان.

* العلاقة كانت زمان يا مديحة، قبل جوازها من أخوكم مش بعد، كل إنسان بيمر في حياته بعلاقة، أحيانًا ممكن تكتمل، وأحيانًا تنتهي لأي سبب من الأسباب، وما نقدروش نحكموا عليها من خلال شخص، لا بد يكون فيه شيء قطعي، زي مستندات أو أكتر من شاهد.

_ تمـام، بـس فيـه نـاس قالـت عليهـا زمـان إنهـا هربـت مـن أهلهـا، ونـاس تانيـة قالـت إن أهلهـا خـدوها الصـعيد وقتلوهـا هنـاك لمـا اكتشفوا العلاقـة اللـي كانـت بينهـا وبين اللـي اسمه ماضي دا.

* تمام، بس دا كله قبل جوازها من أخوكم، ممكن يكونوا في التوقيت دا كانوا متجوزين، وانتِ لسّه بتقولي الصعيد، يعني الصعايدة لهم عادات وتقاليد مختلفة.

_ ممكن تكون هي خرجت عنها يا دكتور فخري، لو افترضنا مثلًا إن حنين طلعت بنت راجل تاني غير حاتم أخويا -الله يرحمه-، ازاي تورث فيه؟! واحنا عارفين إن المرحوم وزع كل تركته وحاله وماله على حياة عينيه لشكرات وولادها، وكمان وِرث حنين بالذات عرفت إن هو الوحيد كان حريص إنه يتسجل في المحكمة.

* يجوز حنين كانت هي الوحيدة في التوقيت دا اللي كان معاها بطاقة، طالما حنين معاها أوراق موثقة في المحكمة صعب أي مخلوق يطعن فيها خلاص، وهنا كل الأوراق والشهادات الدراسية والمستندات بتقول إن حنين قانونًا بنت المرحوم حاتم أخوكم، حتى لو افترضنا أنها بالفعل مش بنته بالقانون بقت بنته رسمي، وأي كلام، وأي قضايا هي شوشرة على الفاضي لسمعة أخوكم.

اليوم هو موعد إجراء العملية الدقيقة لـ "ماضي"، الذي يقضي أسبوعه الثالث وهو في شبه غيبوبة، تتواجد أسرته بالكامل في المشفى ، وتوجد على وجه التحديد أخته "أمل"، فهي الأكثر متابعة لأسرته بعد وفاة الأم منذ عدة سنوات، فهي ترى "شكرات"، ولكنها اصطنعت عدم المعرفة بها؛ تحسبًا من حدوث أي تساؤل من قبل "ميرفت"، والأمر لا يحتمل في ظل هذه الظروف الصعبة، خاصة وهي ترى التوتر قد بلغ ذروته عند "ميرفت"؛ لأنها رأت "شكرات" تتحدث مع زوجة "فؤاد" -صديق ماضي االوحيد-، فأخوة "ماضي" يعرفونه.

طاقم التمريض في المشفى يقوم بالإعداد الجيد لهذه العملية، والممرضون يأخذون المريض على السرير المتحرك ويدخلون به إلى غرفة العمليات، ومن خلفهم الدكتور "عمر" والدكتورة "حنين" في الممر المؤدي لغرفة العمليات، ويقفان أمام باب حجرة العمليات...

_ أهم حاجة ماتفكريش في أي شيء غير في المريض وروحه اللي بين أيادي الله.

* يارب

_ أنا عارف إن الموقف حساس بالنسبة لك، ولكن ربنا أراد إنك تكوني معاه في اللحظات العصيبة دي.

ويدخلان معًا إلى غرفة العمليات، تمر الساعات والدقائق وكأنها دهر، والدعوات لا تفارق شفاه المتواجدين في الاستراحة التي أمام غرفة العمليات في انتظار خروج "ماضي".

بعد مضي تسع ساعات في غرفة العمليات يخرج "ماضي"، أما "حنين" فقد بلغ الإجهاد منها ذورته، وخاصة أنها أول عملية دقيقة وحساسة تساعد فيها، فما كان من الدكتور "عمر" إلا أن يأخذ بيدها ليوصلها إلى استراحة الأطباء، وفي هذه اللحظة وقعت عينا "ميرفت" عليهما وهما يخرجان من غرفة العمليات بعد خروج "ماضي" مباشرة، والتي تصادف وجودها أمام غرفة العمليات.

"فؤاد"، بعد دخول "ماضي" إلى غرفة الإفاقة، ذهب هو وزوجته للاطمئنان على "حنين"، ويسأل عن أخبار العملية من الدكتور "عمر"...

_ الحمد لله، ربنا أكرمنا، وان شاء الله العمليه ناجحة، والكل بذل أقصى جهد، ووجود حنين معايا كان فارق كتير، والحمد لله، فضله عظيم.

* الحمد لله يا ابني، ربنا يطمّنك، هو الحنان والمنان، الحمد لله والشكر لله.

"ميرفت" تطمئن على حالة "ماضي" من الممرضة:

_ من فضلك مين الدكاترة اللي عملوا العملية لماضي؟

* الدكتور عمر والدكتورة حنين

_ الدكتورة حنين؟!

الدكتور عمر؟!

* أيوه حضرتك، دا أشهر طبيب متخصص في إجراء النوع دا من العمليات، انتوا حظكم من السما.

_ ومين الدكتورة حنين؟

* دي دكتورة لسّه متخرجة جديد، والأولى على دفعتها السنة دي، وما شاء الله كانت عينيها في عينين الدكتور عمر ثانية

بثانيــة وإيــدها فــي إيــده، وفــي نفــس الوقــت عينيهــا علــى المريض، الله اكبر عليها شاطرة ما شاء الله.

_ ربنا يطمنك يا حبيبتي، أشكرك.

"منـى" -أخـت المرحـوم "حـاتم"-، تخاطـب أخواتهـا بعد كـلام زوجها الدكتور "فخري":

_ يا جماعة احنا عمرنا ما شُفنا على شكرات حاجة كدا ولا كدا من يوم ما اتجوزت أخوكم، وماسمعناش عنها مرة خرجت من البيت إلا ورجلها على رجل أخوكم، وطول عمرها تحت رجلينا كلنا، ومطيعة لأبعد ما كنا نتصوّر، هو فيه إنسانة في الزمن دا بالشكل دا؟ وطول عمر أخوكم حاتم -الله يرحمه ويحسن إليه- بيقول فيها قصايد شعر، وقد إيه كانت شايلاه من على الأرض شيل، تقريبًا هي الوحيدة اللي كانت بتراعي الحاجة –الله يرحمها- أكتر من أي واحدة فينا، وخصوصًا السنين الأخيرة من عمرها، مش معقولة بعد العشرة دي كلها يكون هو دا جزاءها معانا!

الدكتور فخري يتدخل في الحوار مجددًا:

* ولو مش علشانها، يبقى علشان سمعة أخوكم -الله يرحمه- ، ماحدش عارف إيه السر اللي كان بينهم! وأخوكم كان راجل صاحب مبادىء ودمه حامي، يعني أكيد هو كان عارف كل كبيرة وصغيرة عن حياتها، ولازم تتعاملوا مع المتغيرات دي بمنتهى الهدوء والحكمة، وبكرة كل شىء هايتّضح، مافيش حاجة في الدنيا بتستخبى.

بعد إفاقة "ماضي"، وهو تحت تأثير التخدير، يلتفت حوله، يكاد يفتح عينيه، ويلتفّ الجميع حوله ناظرين إليه، ليتمتم في تعب وهو في شبه غيبوبة بأسماء أولاده، خاصة "حنين"، و "ميرفت" -زوجته-، و "شكرات"، لتبدأ "ميرفت" الحوار:

* مين شكرات؟؟

_ أنا شكرات

* وهو بينطق اسمك ليه يعني؟

_ أصل.....

لينقذ الموقف صديقه "فؤاد":

~ أنا هافهّمك يا مدام ميرفت الحوار كله، بس مش وقته.

* لأ وقته، واتفضل اتكلم.

~ شكرات كانت مرات ماضي من قبل ما يعرفك، وحنين دي تبقى بنته.

_ نعم؟! وازاي؟! وامتى؟! وازاي يخبي عليا كل دا؟!

ليرد "ماضي"، منهكًا:

- سامحيني يا ميرفت،
سامحيني يا شكرات،
سامحيني يا حنين.

"فؤاد" يرد، مشفقًا على "ماضي" من هذا الموقف:

~ مدام ميرفت، ماضي انكتب له عُمر جديد، وهو ماخانكيش، هو مارضيش يحكي ليكِ حاجة فاتت من سنين، وشكرات هو مافيش بينه وبينها أي حاجة غير بنتهم، وبنتهم دي يا ميرفت كانت من أسباب نجاح عملية ماضي، جوزك أبو عيالك.

ليرد الدكتور "عُمر" مُحدثًا "ماضي":

= انت طول عمرك صاحب ابويا وفي مقام عمي، فوق بالله عليك يا عمي؛ عشان أطلب منك ايد بنتك، أوعى تفتكر الظروف دي كلها بعدتني عنها، دي قربتني منها يا عمي والله، فوق يا عمي.

وما زال "ماضي" يتمتم بالكلمات، ليملأ الدمع جفنيّ "حنين" قائلة:

• من أول ما شُفتك وأنا حاسة إنك مش خالي، ولا هاتكون مجرد شخص عابر في حياتي، أنا كنت حاسة بإنك أبويا والله، يا رب ماتضيعهوش مني بعد ما لقيته.

ليسرع الإبن الأصغر لـ "ماضي" نحو السرير، في فزع:

~ بابا.. بابا.. بابا..

ماما، هو بابا مش هايقوم؟

هو واحشني وعايز أطمن عليه واتكلم معاه.

لتحتضنه "حنين":

• هايكون بخير يا حبيبي، أنا أختك حبيبتك، وهو هايكون بخير والله، اطمن يا حبيبي.

احتضان "حنين" لأخيها قد أثار تعاطف "ميرفت"، التي بدأت بالبكاء، وتضع إحدى يديها على كتف "حنين" واليد الأخرى على ابنها:

* اطمن يا حبيبي، بابا هايكون بخير، والبركة في اختك بعد ربنا، هايقوم لك بخير عشان يفرح بيكِ يا عروسة.

وتقبل رأس "حنين"

ليبدأ "ماضي" في استعادة وعيه، قائلًا:

- كلكوا هنا؟ وحواليا؟

أنا كان نفسي تتجمعوا في موقف أحسن من كدا

أنا... أنا... أنا...

ليرد الجميع في صوت واحد، وعلى وجوههم ابتسامة عريضة:

حمدًا لله على السلامة يا أبو العروسة.